

الحياة الأدبية في الحجاز

بقلم عبد المجيد شبكشى

كان الأدب العربي مثال الكمال والروعة والازدهار والانتشار في دولة الأمويين وفي صدر الدولة العباسية . وكان نصيب الحجاز من هذا الازدهار طيباً صرموقاً ، وانتفى خلوه من الأحداث السياسية أن يحيا مرموراً حتى تجرد من العلم والثقافة وصفر من الرجال المتأثرين ، وعملت الهجرة على نحو مقوماته ومميزاته ثم بدرت بادرة من بوادر النهوض ونسمة من نبات الحياة بمد فنفتحت في الحجاز روح اليقظة الفكرية فأخذ يسترجع ماضيه بفضل جهود البعض من أبنائه المخلصين الذين جرى في صرهم الدم الحجازي الحر فتأثروا لندهوره تأثراً قوياً جعل قلوبهم تنقطع أسفاً وحزناً على الماضي العزيز الذي ذهب هباءً مشوراً وغرق الحجاز بمدته في الجهالة وأضاع تراثه المجيد

مرت اليقظة في أفكار بعض شباب الحجاز وأحسوا بالواجب الوطني وتنهوا إلى فضل الأدب في نهضات الشعوب فتأهلت لجان الاجتماع ، ونواد للأدب حيث قاموا فنزلوا حركة أدبية لا تشوبها شائبة بالنسبة إلى تلك الحالة وبالنسبة أيضاً لعدم وجود مؤهلات كافية لدرس الأدب ، حتى المدارس كانت إذ ذاك بسيطة جداً يتخرج منها التلميذ وهو لا يعرف من مواضع الحياة شيئاً

ثم جاء دور التكوين للنهضة الفكرية وكأ ذلك قبل عشرة أعوام تقريباً نظم في خلالها أدباء الحجاز الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه وأعلنوا عن أفكارهم وسجلوا آراءهم ، فشر الحجاز حينئذ بكذب الحياة يتمشى فيه ، وأحس بحال الأدب والفن معاً ، وحينئذ قام أحد أدباء الحجاز البارزين^(١) وأصدر كتاباً أدبياً يضم بين دفتيه مخنرات لأدباء الحجاز فأثبت الأمة أن هناك أدباً راقياً يدعى الأدب الحجازي . وقد نجد في هذه المجموعة روح الحجاز الأدبية بمنزلة من حيث سحة النزعة وبساطة التفكير وجماله ، فكان عمل هذا الأديب بشير يقظة فكرية منظمة ،

(١) هو الأستاذ محمد سرور الصبان مدير إدارة وزارة المالية

وقد كان الأدب الحجازي في ذلك العهد بسيطاً شأن كل شيء في بدايته . ولكن الأفكار كانت سائرة مع الحياة متأثرة باتجاهها فلم يعض وقت طويل حتى فضجت تلك الأفكار ، وازدهر الأدب بعض الازدهار ، ولولا ما نشأ بمد من عوائق شتى وقفت بالحركة الفكرية بعض الشيء لاضطارد تقدمها . ونستطيع أن نقول بحق إن الموقنين من شباب الحجاز في الناحية الأدبية قليلو العدد جداً ، والكتاب البارزين في الحجاز لا يزيدون على عشرة ، ولكن أرقامهم الممتازة هي التي صورت مبلغ تأثر الحجاز باليقظة الفكرية ومدى إدراكه . أما قراء الأدب فكثيرون وهم ممن أوجبهم المدارس الحالية ، وهؤلاء بلا شك يرجي لهم مستقبل طيب صرموق

والحجاز اليوم بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائه المخلصين متقدم بخطوات واسعة إلى الامام ، وميال إلى احتذاء أدب مصر ونزعاتها الفكرية ، ولا غرابة إذا شبه البعض من أدباء الحجاز ببعض أدباء مصر في روحهم الأدبية وصار يكاد ويجهد في الحصول على ما يريد من فوق ذلك من النثل الأملى حتى يدرك المرى الذى يقصده

والأدب الحجازي اليوم رمز لما في أئنة الحجازيين من عواطف واحساس وحب وولاء ، ولما في نفوسهم من شعور وكرم أخلاق ، ولما في ضمائرهم من مبدأ واستقامة وغرام عميق بالحرية . وتختلف الأوساط الأدبية اليوم باختلاف قوتها ومداركها وتطورها وتجدها وبما يستتبعه هذا الاختلاف من تأثر بأساليب النقد البرى والنأمل المتع والبحث الناضج ، أو النقد التهافت والنظرات الجوفاء والبحث الضعيف الخ ، وهذا الاختلاف يعطينا صورة واضحة للتطور والتجدد في الأفكار تتحد مع نواميس الكون في نشوئه وتطوره . وليس غريباً على الحجاز أو الحجازيين أن يتأثروا بمؤثرات هذا العصر الحديث وفنونه ونزعاته ، وأن تكون حياتهم ميالة إلى اقتباس أساليب جديدة في الحياة والأدب ، فان ذلك من بوادر النجاح وأسبابه ، وهو دليل اليقظة ، ونؤمل أن ينال الحجاز نصيبه من التقدم والشهرة والحرية التي هي من مبادئ الحياة الصحيحة في هذا العصر . على أن هذا الروح الأدبي السلي للتمثل اليوم في